البيعة في الاسلام

الدكتور جعفر شهيدي

كلية الآداب ـ جامعة طهران

البيعة في اللغة العربية ضرب اليد على اليد في ايجاب عقد البيع و في المبايعة على ايجاب الطاعة. و في اصطلاح المسلمين فالبيعة ضرب اليد اليمنى على يد شخص، دليلاً على قبول امارته أورئاسته. و بعد هذا التعريف. يبادر كاتب، المقالة الى دراسة البيعات المشهورة قبل الاسلام و في العهد الاسلامي يمكن ان نذكر منها بيعة العشيرة و بيعة الرضوان و بيعة السقيفة حيث تناولها الكاتب بالبحث. ثم تحدث عن البيعة في تاريخ ايران واورد عدة نماذج لبيعة الملوك في تاريخ ايران. ثم تطورت البيعة بعد دخول المغول الى ايران فاكتفوا بكلمة البيعة للدلالة عليها.

البيعة، في اللغة، ضرب اليد على اليد في ايجاب عقد البيع. و في المبايعة، على ايجاب الطاعة[١]. أما في اصطلاح المسلمين، فالبيعة، ضرب اليد اليمنى على يد شخص ما، دليلاً على قبول امارته أو رئاسته. و يبدو مما أورده اللغويون، أن هذه الكلمة، كانت تستعمل في البدء للبيع والشراء. ثم في تعهد اثنين كل تجاه الآخر، «و كأنّ كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه و طاعتَه و دخيلة أمره»[٢].

ويذكر الهروي أن البيعة في اللغة بمعنى العهد والعقد[٣]. ويبدو أن البيعة بالمعنى الثاني للكلمة تجري بضرب يدالبائع اليمنى على يدالشاري، كمايقول كعب:

حتى وضعت يميني لاأنازعُها

في كفِّ ذي نَعِماتٍ قيلهُ القيل[٤]

و نحن نعلم أن هذا البيت نظم في صدرالاسلام. وكانت البيعة عندالعرب قبل الاسلام مألوفة أيضاً. فحينما يقبلون رئيس قبيلة أوزعيم لهم، أو يتعهدون بعمل له، يعلنون عن وفائهم بضرب أيديهم على يده.

و ذكرالطبري في حديثه عن عـزم قصي بن كلاب جدالرسول(ص) الأعلىٰ على إخراج خُزاعة من مكة قائلاً: قبلت قريش و بنوكنانة منه مادعاهم إليه و بايعوه عليه.[٥]

و بعد ظهورالاسلام، كانت بيعة العشيرة أول بيعة جرت بمكة في عهدالرسول(ص)، وحدثت بعد ثلاث سنوات من البعثة. ولما نزلت آية «وأنذر عشيرتك الأقربين»[٦] دعا الرسول(ص) أربعين شخصاً أومايقرب من الأربعين من أبناء عبدالمطلب و قال لهم في خطاب ورد في التواريخ: يا أبناء عبدالمطلب، لقد بُعثت إليكم وإلى الناس، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي و صاحبي و وارثي فيكم.؟

فلم يجبه سوى علي (ع) فقالها مرات ثلاث و أخيراً بايع رسول الله أميرالمؤمنين عليا(ع)[٧].

والبيعة الثانية[٨] التي جرت في مكة كانت بيعة العقبة[٩] الأولى، فحينما انتشر في يثرب نبأ ظهورالاسلام على يد ستة نفرمن أهل هذه المدينة كانوا قدالتقوا بالرسول بجانب الكعبة، قدم إلى مكة اثناعشر حاجاً وبايعوه. و كانت شروط البيعة كما

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-27]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1410.1.12.5.0]

أوردها ابن هشام:

١ ـ ألّايشركوا بالله شيئاً

٢ ـ ألايسرقوا

٣ ـ ألايقتلوا أولادهم

٤ ـ ألايأتوابببهتان يفترونه.

٥ ـ ألايعصوا الرسول (ص) في معروف يأمربه[١٠].

وجرت البيعة الثالثة بعد سنة من بيعة العقبة الأولى في نفس الموضع، و بايع الرسول (ص) فيها ثلاثةٌ و سبعون رجلاً و امرأتان. و تعهد فيها موفدو أهل يثرب بنصرته والدفاع عنه دفاعهم عن أولادهم[١١].

و بعد أن هاجر الرسول (ص) من مكة إلى يثرب و دعيت هذه المدينة بمدينة الرسول ثم بالمدينة، جرت بينه و بين أبناء الجزيرة العربية بيعات عديدة، حتى السنة التي انتقل بها إلى جوار الحق. فكان هؤلاء الموفدون، يقدمون إليه، و يضربون أيديهم على يده تعبيراً عن وفائهم، أو أن رسول الله كان يأخذ البيعة بنفسه. و كان أهم هذه البيعات بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة.

و سببها أن الرسول حينما خرج في ذي القعدة عام ستة للهجرة إلى مكة مع أصحابه معتمراً، واجه في الطريق جماعة من موفدي قريش في موضع باسم الحُدَيبية؛ جاءوا ليمنعوه من الدخول إلى مكة، فأرسل الرسول (ص) عثمان بن عفان إلى أهل مكة ليخبرهم بأنه لم يأت لحرب، و إنما جاء معتمراً. فخرج عثمان إلى مكة و بلّغ قريشاً عن الرسول ما أرسله به، فاحتبسه رؤساء قريش عندهم، و بلغ رسولَ الله(ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل. فدعا الرسول الناس ممن معه إلى البيعة، فبايعوه على حرب أهل مكة لم يتخلف عنه إلا واحد[١٢].

وسميت هذه البيعة بيعة الشجرة لأنها جرت تحت شجرة السُمْر، كما دعيت ببيعة الرضوان لقوله تعالى «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...»[١٣].

و بعد وفاة رسول الله (ص) شاعت عادة مبايعة المسلمين لخلفائه. و كانت أول هذه البيعات في السقيفة، فاجتمع عدد هناك و بايعوا أبابكر بالخلافة و دعوه خليفة المسلمين.

كما توجه في نفس الوقت كل من العباس و أبي سفيان إلى علي عليه السلام، و خاطباه في أن يبايعانه بالخلافة، فأجابهما خطبة وردت في نهج البلاغة[١٤].

وفي عصر أبي بكر و عمروعثمان و أميرالمؤمنين علي(ع) كـ أهل المدينة يضربون أيديهم على يدالخليفة إعلانا عن قبوه خلافته و وفائهم له. كما كانت البيعة تجري أحيانا بالرضى ك حدث في بيعة عمر، فقد قرأ عثمان رسالة أبي بكر التي أوصى فيه بخلافة عمر على الحاضرين و قبلوا بها[١٥].

وقد ورد الحديث عن بيعة المسلمين مراراً في خطب و رسائل أميرالمؤمنين(ع). فجاء في إحدى هذه الخطب: «فأقبلتم إلى إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون: البيعة البيعة!!»[١٦]

وجاء في رسالة بعث بها إلى معاوية: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر و عمر و عثمان»[١٧] و كتب له في رسالة أخرى «فبايع من قبلك، و أقبل إليّ في وفد من أصحابك»[١٨]

و كانت البيعة تتم على هذا الشكل رسمياً في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين و حتى الخوارج و الفاطميين و كل الذين كانوا يدّعون زعامة المسلمين.

البيعة في ايران الاسلاميّة

كان الحكام في ايران كما نعلم يعيّنون في القرون الأولى للاسلام، من قبل الحاكم في العراق (الكوفة)، وحينما يموت خليفة و يخلفه آخر، يأخذ هؤلاء الحكام البيعة له من الناس. و حينما ورد نبأ وفاة يزيد و ابنه معاوية إلى سَلْم بن زياد حاكم خراسان، و كان النزاع على الخلافة قدبدأ آنذاك بين ابن الزبير من جهة و بين مروان بن الحكم من جهة أخرى، أخذ سلم بيعة الرضى من الناس ريثما يستقر أمر الخلافة[١٩]. فقبل الخراسانيون، ثم مالبثوا أن ثاروا عليه.

كانت البيعة للملوك والحكام كما ذكرنا (بضرب اليد على اليد) عادة عربية، ورغم بحثي الطويل لم أجد مثل هذه العادة في عهدالملوك الايرانيين.

وقد وردت كلمة البيعة مرة في الشاهنامة، وذلك في عهد قباد:

از ايران برأو كرد بيعت سپاه

درم داد يكساله از گنج شاه[٢٠]

بايع جيش ايران، الملك فَأعطاه راتب سنة من الخزانة.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-27]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1410.1.12.5.0]

و كانت عبارة الطبري حول ذلك:

«واجتمع إليه الوجوه فملكوه»[٢١] و جاء في ترجمة هذا التاريخ ما ترجمته: اجتمع الناس حول شيرويه، وبايعوه في تلك الليلة أيضاً[٢٢].

ويبدو أن مترجم تاريخ الطبري استعمل كلمة البيعة لأنه كان يعيش في عصرالسامانيين و كانت عادة البيعة مألوفة عندهم، و تأثر الفردوسي بهذه الترجمة فاستعمل تلك الكلمة.

وجاءت كلمة البيعة في النظم والنثر الفارسيين بمعنى المصافحة أو ضرب اليد على اليد، فقد ورد في تاريخ البيهقي في حديثه عن بيعة مسعود للخليفة العباسي قوله:

«و دست براى آن گشاده ام و بجهت عقد دست بر دست زده ام»[٢٣] أي: و بسطت يدي، و ضربت يداً على يدللبيعة.

و هذه العبارة أيضاً: «دست هاى راست دادند دست دادنى از روى رضا و رغبت»[٢٤]. و ترجمتها: واعطواللصّفق أيمانهم بالبيعة إصفاق رضى و انقياد»[٢٥]

وللشاعرأنوري:

انورى را خدايگان جهان

پيش خود خواند و دست داد و نشاند[٢٦]

أي: دعا ملك العالم العظيم أنوري إليه و صافحه و أجلسه إلى جواره.

وأورد نظامي عروضي في وصفه لدخول فرخي على أمير الجغانيين قائلاً «امير دست داد و جاى نيكو نامزد كرد»[٢٧] وهي تعني بلاشك انه وضع يده في يد فرخي التي كان قدبسطها للبيعة. و أما تفسيرالمرحوم دهخدا للمصافحة بالاشارة اليه كي يجلس هناك فليس صحيحاً.

ويبدو أن هذه العادة زالت بعد هجوم المغول على ايران و بغداد و قتْل المستعصم و سقوط الخلافة. واستعمال المؤرخين في العهدالمغولي لكلمة البيعة كان لفظياً فقط. و منهاما ذكره الجويني في شرحه لجلوس «منكوقا آن» على العرش:

«هركسى كه در آن جمعيت حاضر بودند بر سبيل تبعيت بيعت كردند»[٢٨] اي كل من كان حاضراً بايع على سبيل التبعية. ذلك أن عادة البيعة لم تكن بين المغول بالمعنى الذي أوردناه في بحثنا.

ولم يرد ذكر لبيعة الناس للملوك في عهد الايلخانيين والتيموريين و حتى الملوك الصفويين ذوي الطابع المذهبي فقد ذكر خواند مير مثلاً في حديثه عن جلوس الميرزا شاهرخ على العرش قائلاً:

لقد شرف جلالته في شهر رمضان سنة سبع و ثمانمائة العرش والمملكة بوجوده في بلدة هراة الزاهرة. و وضع تاج الخلافة والفتوحات على رأسه، وألقى ظل العدل و رعاية الرعية على مفارق العالمين، وأبدى ولاة الولايات الخاضعة الطاعة والانقياد والامتثال للأوامر، و توجهوا بخطى الاخلاص إلى عتبة البلاط السامي ليؤدوا فروض الرق والعبودية...[٢٩]

و وصف هذا المؤرخ أيضاً جلوس الشاه اسماعيل على العرش بقوله:

في أحد أيام سنة ست وتسعمائة، اليوم الذي كان كالأعياد المبهجة و كأيام نيروز يضفي الفرح على النفوس. بسط الظل السلطاني المبارك ظلال القدرة والسعادة على مفارق المواطنين في تلك الديار، و كشف ظُلمات الظُّلم و شوائب الجَور عن حمى آذربيجان وجلا مرآة ضمير أهل الايمان بنور طلعة مزين العالم و صيقل العدل الذي يمحوالظلمات[٣٠].

و ورد في كتاب خلاصة السير، تأليف محمدبن معصوم خواجكي الأصفهاني الذي هو على قيدالطبع بتحقيق الصديق العالم السيد ايرج افشار، قوله في حديثه عن جلوس الشاه صفي على العرش: في تلك الساعة السعيدة شدالسلطان الشاه اسماعيل، العظيم العادل فردوسيّ المثوى، أنارالله برهانه، الحزام والسيف الملكيين، في عمارة عالي قاپو، و زيّن العرش والتاج بعز وجوده... ثم أجلسوه على العرش.

وذكر في موضع آخر: بناء على أوامر ضل الله في الأرض عقد في يوم الجمعة الثامن من الشهرالمذكور (جمادي الثانية) اجتماع حاشد في مسجدالشاه، ألقى فيه نوّاب كبير المجتهدين خطبة بليغة باسم السلطان الأعظم[٣١].

و كمانرى لم يشر إلى البيعة في هذه المصادر التي اوردت كلمة الخلافة أحياناً تعبيراً عن سلطنة هؤلاء الملوك، ثم إن البيعة الرسمية كانت متداولة بين العرب، و حينما تأسست الدولة الاسلامية أبقى رسول الله (ص) على هذه العادة التي ظلت

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-27]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1410.1.12.5.0]

مرعية طالماكان الحكم يتخذ شكل الخلافة أو زعامة المسلمين عامة.

المصادر والهوامش:

١ ـ ابن منظور، لسان العرب.
٢ ـ ابن الأثير: النهاية.
٣ ـ الغريبين.
٤ ـ كعب بن زهير، حينما بايع الرسول والقى قصيدته المعروفة، وروي «ذي النقمات» عوضاً عن «ذي النعمات أيضا».
٥ ـ تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٠٩٤.
٦ ـ سورة الشعراء، ٢١٤.
٧ ـ يرجع الى تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١١٧٣، و سيرة ابن هشام، ج١، ص٢٧٤.
٨ ـ المراد البيعات الجماعيّة.
٩ ـ العقبة بين منى و مكة تبعد ميلين عن المدينة.
١٠ ـ السيرة، ج٢، ص٤١.
١١ ـ ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٥٠.
١٢ ـ نفس المصدر، ن.م، ج٣، ص٣٦٤.
١٣ ـ سورة الفتح: ١٨.
١٤ ـ الخطبة الخامسة التي تبدأ بـ «شقّوا امواج الفتن».
١٥ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٢٦، طبع دارصادر.
١٦ ـ الخطبة مائة وسبع وثلاثون.
١٧ ـ نهج البلاغة، الرسالة السادسة
١٨ ـ الرسالة الخامسة والسبعون.
١٩ ـ الطبري، ج٧، ص٤٨٩؛ الكامل، ج٤، ص١٥٥.
٢٠ ـ الشاهنامة، الدكتور دبير سياقي، ج٥، ص٢٥١١.
٢١ ـ تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٠٤٤.
٢٢ ـ ترجمة تاريخ الطبري، تصحيح المرحوم گنابادي، ص١١٥٥.
٢٣ ـ تاريخ البيهقي، الدكتور فياض، ص٣١٤.
٢٤ ـ نفس الكتاب، ص٣٠٩.
٢٥ ـ نفس الكتاب، ص٢٩٩.
٢٦ ـ أنوري، مدرس، ج٢، ص٦١٠ ويرجع الى شرح مشكلات انوري لكاتب المقالة، ص٥٤٩.
٢٧ ـ چهار مقاله (المقالات الأربع)، الدكتور معين، ص٦٣.
٢٨ ـ جهانگشا، ج٣، ص٢١.
٢٩ ـ حبيب السير، ج٣، ص٥٥٤.
٣٠ ـ نفس الكتاب، ج٤، ص٤٦٧.
٣١ ـ اشكر الصديق العزيز السيد أفشار الذي تفضل باعطائي صورة عن هذه الصفحات.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-27]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1410.1.12.5.0]